

التدريب عن بعد:

الإشراف على العلاج النفسي (38)

عن ألم المعالج (والمشرف) إنسانا، وكيف يتعامل معه

تكرر الحديث في هذا الباب عن كيف يتعامل المعالج مع مشاعره الخاصة، وكيف يشارك مريضه آلامه وهو يواكبه، كما حذرنا كثيرا من الفرحة بالمبالغة في الشفقة من أعلى، ومن التعامل على مسافة، وأيضا كم نبهنا إلى صعوبة ضبط جرعة هذه المشاعر، ما أمكن ذلك، وكان هذا من خلال الخبرة والإشراف وعرض الحالات.

ثم مررت مؤخرا جدا بخبرة شخصية، فتحت هذا الملف دون استئذان، وأنا أرد على خطاب خاص، جاءني من صديق صدوق، طلب مني ألا يكون خطابه للنشر العام، فاحترمت ذلك فورا وتامما، إلا أنني لاحظت وأنا أراجع ردى عليه، أنه قد ورد فيه (في الرد) ما لا يجوز أن أحجبه عن من يحتاج إليه، ذلك أنني تحدثت فيه عن ألمي شخصيا وكيف أتعامل معه. وجدت في ذلك - فجأة - ما قد يفيد المتدربين هنا، ويكمل نقاشي معهم.

ألست معالجا مثلهم عندي نفس الضعف، أعيش نفس المشاعر؟
ألا أزعم لهم أحيانا، تلميحا أو تصريحاً، أنني أعتبر معاشتي ألمي هي ثروة مهنتي، وجوهر ممارستي؟

وفي نفس الوقت: ألست أكرر - في إشرافي هنا وفي الواقع - كيف أن علينا أن نتعلم أن الألم هو جزء لا يتجزأ من الحياة ونحن نحمل مسئوليتها؟
كما أنه علينا أكثر أن نتعلم كيف يمكن أن يكون الألم نفسه هو ورطة المريض حين يظنيه حتى العجز، أو وهو ينكره تماما، فيتشوه به، وبدونه.

تصورت أن المتدرب، وهو يشارك مريضه ألمه، يحتاج للاطلاع على حرفية نص هذا الحوار الذي جرى بين صديقي وبينى، مما قد يسمح له أن يتعرف على مشاعر الذى يقوم بتدريبه، فيتأكد أن ما يسرى عليه متدربا هو ما يسرى على مدربه إنسانا ومعلما معا، لكنني لم آسف كثيرا على حجب النصين احتراما لتوصية صديقي، فرحت أتحايل حتى لا أحرم أبنائي وبناتي من صدق بعض ما جاء بيني وبين صديقي:

قررت أن أنشر مقتظا محدودا من "ردى" دون رسالته، آملا أن يؤدي ذلك إلى النفع الذى نأمل فيه معا

فليساعني الصديق، فأنا أعرف كم هو حريص على نفع الناس بما ينفع الناس.
كان صديقي هذا قد نبهني في خطابه إلى ما لاحظته على شخصي أثناء ظهوري في بعض البرامج، وهو أنني ما زلت أتألم وأندهش وأحترار، ولجبه لي، تمنى لي أن أكون أكثر تسامحا مع نفسي، حتى نصحني بأن أستعين بما تيسر من تقنيات أحدث، لعلها تخفف عني بعض ذلك، تعجبت كيف التقط كل هذا عني عن بعد هكذا، ونحن لم نلتق وجها لوجه منذ سنوات، ثم تصورت أن ما بيننا من علاقة صادقة لا تنقطع بالبعد الجسدى، هي التي أتاحت هذا النوع من التواصل، حتى "شخص حالى"، (وهو ليس طبيبا)، بكل هذا الحب وهذه الطيبة.
لم أجد حرجا في ألا أستأذنه، طالما أنني لم أذكره لا بالاسم ولا بالصفة، وليجزه الله عنا خيرا.

المقتطف (من ردى عليه):

.....
أنا - كما لا بد أن تعلم يا صديقي - لا أشكو من ألمي هذا، ولا أرفض حيرتى أو دهشتي، أنا فخور بألمى ما تعلق برؤيتي، ودفعتني إلى الفعل، أما حيرتى ودهشتي فهي سر كشفى واستمراري، أنت تعرف كل هذا، دون أن نلتقي

الألم الإنسانى - كما تعلم - أرقى بكثير جدا من أن يلجأ من شرف مجلولة في وعيه، إلى التخفيف عنه بأية أداة من خارجه، مهما بلغت قدرات هذه الأداة وانبهارنا بها .

هي لا يمكن أن تخففه،

ولا أريد منها أن تخففه،

هي أعجز من تحيط به

هي لا تستطيع أن تتناغم معه

الألم الإنسانى لا يخففه إلا ألم إنسانى أرقى، فأرقى، "معا"،

ساعتها لن يكون هو هو

هو الفرخ بعينه، شريطة ألا نسميه كذلك

أنت تعلم - يا صديقي - أن هذا الألم بوجه خاص هو الحور الجوهري

الذى يعطى "الوجودنا معا" معنى نستحق به أن نكون بشرا بحق

نحن نسميه أحيانا الحب - هو هو الحب - لكنهم سرقوا اللفظ لاستعمالات
استهلاكية سريعة
أنت تنكر علىّ أنى لم أتسامح مع نفسى، مع أنى فعلتها وأفعلها كل
يوم وكل لحظة، وإلا كيف أستطيع أن أواصل حمل أمانتى، وجودى، وعيى بي
وبهم.؟

لا أريد أن أراك
وسوف أدعوك كما تدعو لى
أريد أن أراك
لا...!!!!

من البديهي أنى سوف ألتزم بتوصيتك ألا تكون هذه الرسالة للنشر
العام
مع أنها يمكن أن تفيد من يحتاجها جدا
لكن من يحتاجها سوف يجدها داخله حتما
(انتهى المقتطف)

وبعد

أدعو الله أن يصل بعض ما يغفر لى تجاوزى الحدود هذا إلى من يتصدى للألم الإنسانى، مما قد
ينفع الناس: مرضى ومعالجين، وغير ذلك.
ولك الفضل - يا صديقى - من قبل ومن بعد.